الربع الهلالك

قصة بقلم فاضل السباعي

ـ مسكه شكلز .. الوحدة بربع ..

وبان لعينيه « باص » يلفظه المنحنى هناك . انه يدنو . لعله واجده فيه . هذا اوان عودة الموظفين . وانه لا ريب موظف . فهيئته تشير الى ذلك . كان لطيفا معه في الصباح . حسب له الحسبة كلها ، واشترى منه « وحدة » سيقدمها هدية الى خطيبته !

دنا الباص . فضم بحرص صندوقه الصغير الى صدره ، ورجع الى ماوراء « المظلة » خطوتين . وهجم الناس على الباص ، على بابه الخلفي ، هجمتهم للصاعقة . فاشتد الزحام . وسقط على الارض شيخ لم تقه من السقوط عكازه الثقيلة . وولولت امرأة على صدرها رضيع ، وسبت رجلا كان يزحمها !

وقف على مبعدة يتطلع الى داخل الباص ، عله يجده . انه شاب ، اسمر ، واسع العينين ، فوق فمه الصغير استقر شاربان رفيعان . كان لطيفا معه . انه يريد ان يرد اليه ربع الليرة ، الباقي مما دفع .

لم تقع عليه عيناه . صاح :

ـ مسكه شكلز ... الوحدة بربع ..

ومضى الباص . سار اول امره وئيدا وقد امتص حاجته من الوقوف . ثم اغلق الباب ، وغذ مسرعا لا يلوي . فتفرق الناس بعد التئام ، ووقفوا وقفتهم الاولى تحت المظلة .

ـ مسكه شكلز .. الوحدة بربع ..

وانضمت الى الوقوف تحت المظلة فتاة شقراء ترتدي معطفا من الفرو . اقترب منها ، وفي يمناه وحدة :

ـ المسكه الاصلية .. شكلز ..

لم تلتفت اليه .

ـ مسكه شكلز ، يا آنسة ..

ادارت رأسها الى الجانب الاخر ! لن تشتري ، فيما يبدو . رفع يده الى ساعدها ، ولمس معطفها ، ماانعمه ! التفتت اليه ، وقالت تساله :

ـ ماذا تريد ، ياصبي ؟

ـ أما تشترين مسكه ؟

ـ لا !

ـ هذي شكلز الاصلية . خالية من الغش .. تسليك وقت الملل .

فتبسمت . وتناولتها منه . والقتها في حقيبتها . ودفعت اليه بالربع .

وتحسس النقود في جيبه . وعد الوحدات المتبقية في الصندوق . انها عشرون . باع حتى الان سبعا . كسب سبعة فرنكات ، ودفعت له امرأة طيبة فرنكا زيادة ، فالكسب ثمانية . ولكن هذه الربع الزائدة ، انها من حق الشاب الاسمر الطيب . رآه في الصباح مع الواقفين . يلبس بذلة بنية اللون ويتأبط حقيبة . لابد انه موظف . عرض عليه ان يشتري « شكلز » . فاعتذر بانه لايمضغها . ان الرجال دائما يعتذرون لـه كذلك . فمضى عنه مدللا على بضاعته . لم يكن قد باع شيئا مما في صندوقه . في الصباح عادة لايشتري الناس شكلز . يكونون مسرعين الى اعمالهم . وقلما تخرج النساء صباحا . كانت تشغل عليه خاطره وقتها حسبة شراء . مر في الصباح بدكان « ابو العبد » ، بائع الشكلز بالجملة . كان صندوقه قد خلا في المساء الماضي تماما . طلب منه « دستين » . انه يعرف حسبها : ان له في كل يوم تقريبا دستين . ولكن لم يكن اليوم في دكان ابو العبد غير دستة وسبع وحدات . حسبها ابو العبد على الورق . وطلب منه خمس ليرات ونصفا . ترى ، احقا ثمن الوحدات خمس ونصف ؟ .... ذلك ماكان يشغل عليه خاطره في الصباح . فلما رأى الشاب الاسمر ، توسم فيه الطيبة . لايدري لم ! لعلها نظراته التي طمأنته اليه واعتذاره الرقيق بانه لايمضغ . وسرعان ماكر اليه يسأله :

ـ استاذ ، اتعرف تحسب ؟؟

فطفرت من تحت شاربيه بسمة طيبة :

ـ نعم . أعرف .

ـ اذا كان ثمن « الوحدة » عشرين قرشا ، فما ثمن السبع والعشرين ؟

جعل الشاب يحسبها في عقله ..... ثم قال :

ـ خمس ليرات و ... اربعون قرشا .

فما ملك ان صفر مفيظا من ابو العبد ، هذا الفشاش . لقد لعب عليه بعشرة قروش ، ربح وحدتين ! وسأله الشاب عما يشغل ذهنه ؟ فأجاب :

ـ ابو العبد غشني . قبض مني خمس ليرات ونصفا . وما رد لي فرنكين !

فقال الشاب :

ـ عليك به . طالبه بهما . لعله اخطأ الحساب .

ـ ماأخطأ ، استاذ . استغل جهلي ، وسرقني . سرق مني ربح وحدتين .

ـ او تربح بالوحدة فرنكا ؟

ـ فرنك واحد . اشتري الوحدة بعشرين قرشا ، وأبيعها بربع .

ـ وكيف حال البيع معك ، يا ... ؟

ـ اسمي محمد . والله ، البيع ماهو شيء . النساء عدلن عن المضغ هذه الايام .

فضحك الشاب .

ـ ولماذا عدلن ؟

ـ يبدو انهن يفضلن الثرثرة !

ـ وكيف عرفت ؟

ـ لانهن لايشترين الشكلز !

فضحك الشاب حتى بانت نواجذه . وسر هو لضحكه . لعله يشتري منه وحدة بعد هذا .

ـ والرجال ؟ ا ليس منهن زبائن ، يامحمد ؟

ـ انهم لايمضغون . ولكن ربما اشترى الرجل وحده ودسها في جيبه.

ـ اليمضغهـــا ؟

ـ لا . ليهديهـــا زوجـــه .

وكان الباص قد حط في الوقف . فطلع اليه الشاب في الزحمة ، ليستقر بجوار النافذة ويتطلع اليه ويبتسم . فدنا منه ، واشراب الى النافذة ، وقال كالهامس :

ـ استاذ ... اليس لك خطيبة تهديهـا شكلز ؟

فلمع بريقا في عينيه يومض . ثم ظللت وجهه سحابة . وقال :

ـ هـــات وحـــدة !

فمد اليه بالحال يده بوحدة . فسحبها منه ، ليناوله بدلا عنها نصف ليرة . فأخذها ، ودس يده في جيبه يبحث عن ربع بين نقوده ..... وما كاد يرفع اليه بالربع يده ، حتى كان الباص قد تحرك ، ثم انطلـــق كالسهـــم .

الربع في جيبه الان . سيردها الى صاحبها ، لابد . ولكن ، اما كـان يستطيع ان يردها اليه لحظتها ؟ ؟ كان بوسعه ان يجري تحت النافذة، او يتسلق سلم الباب قبل ان يقفل . كم من مرة فعلها . ولكنه ما اندفع الي ذلك . قصر بعض الشيء . لايدري لم ! لعله ساورته رغبة غامضـــة بان يبقيها في جيبه . ولكن ، ماكان بامكانه ان يتسلق الباب فـــي الزحـــام . انه عازم على ردها الى الاستاذ . انه يترصد عودته . لابد سيقبل الان في انصراف الموظفين . انه موظف .....

ـ عمي . كم الساعة ؟

سل الشيخ ساعته من زناره . نظر اليها ، وقال :

ـ الثانيـــة .

ـ الثانية ، تماما ؟

اعاد الرجل نظره الى الساعة :

ـ الثانية و ... ثلاث دقائق !

اذن ، فقد آن اوان انصراف الموظفين . تطلع الى بعيد ، الى المنحنى. ليس ثمة باص جديد . لابد سيقبل بعد قليل . سيرد اليه ربعه . ابدى نحوه اللطف والعطف . لن يغتصب له ربعه . سيردها اليه . لقد حسب له الحسبة . ابو العبد غشه . سيطالبه غدا بالفرنكين . ربح وحدتين . بـاع حتى الان سبعا . بقي عشرون ....

ـ شكلز .. مسكه شكلز .. الوحدة بربع ..

بص بامرأة ثخينة في ملاءة سوداء تحدث بصوت مسموع اخرى تحمل اغـراضـــا .

ـ مسكه شكلز .. بربع ليرة ..

لم تلتفتا اليه . دنا منهما .

ـ مسكه شكلز ..

لم تردا . كانت الثخينة تقص خبر سلفتها التي اوغرت صدر حماتها عليها . رفع يده بوحدة وجعل يلوح بها قبالة وجهها :

ـ خالة .. مسكه شكلز .. طيبة .. الوحدة بربع ..

فقطعت حديثها فجاة . والتفتت اليـه :

ـ امش من قدامي ، يامجسوخ .. بلا مسكه ، بلا علاك !!

ارتد الى الوراء مجفلا ! لقد ارعبته ! مابها ؟ لاتشتري ! من يجبرها ؟ رزقه ليس عليها .. رزقه على الله !

ـ مسكه شكلز ..

ها قد اقبل باص جديد . لعله فيه . لاريب فيه . هذا اوان انصرافهم. جعل يتطلع عبر النوافذ الى المقاعد . كلهم قيام . اشراب بقامته. وتطلع الى الباب الامامي ، حيث بدا يندفق سيل النازلين : أهذا ، الذي نزل ؟ لا . ولا الذي يليه . ولا ذاك الاخر ..... ؟ . هوذا . ها قد نزل .. الشاب الاسمر الطيب ذو الشاربين الرفيعين .

ـ استاذ .. استاذ ...

لم يسمعه . جعل ينادي وهو يركض نحوه :

ـ مسكه شكلز ... شكلز ...

صار جنبـــه .

ـ مساء الخير ، استاذ .

فالتفت اليه . وارتسمت في الحال بسمة تحت شاربيه الرفيعين .

ـ اهـــلا ، محمـــد ..

سار الى جواره .

ـ كيف الحال ، استاذ ؟

ـ الحمد لله . كيف حالك انت ؟

ـ مليـــح .

ـ كم وحدة بعت ؟ هل بقي شيء من السبع والعشرين ؟

ـ لا ، استاذ ! السوق في الصباح تكون واقفة . بعد الظهر احسن !

ومد يده الى جيبه . تحسس قطع النقود . عثرت كفه على ربع . امسكها باصبعيه . سل يده من جيبه .

ـ استاذ ... اليوم ما لحقت ارد لك الربع .. تحرك الباص ، فمـا لحقـــت .

فانشقت شفتا الاستاذ عن بسمة :

ـ ابقها لك ، يامحمد .

لـم يصـدق !

ـ استـاذ ....

ـ ابقهـــا لـــك .

لكني .. لم ابع قط الوحدة بنصف ليرة ! لم يدفع لي احد نصف ليـــرة !

ـ ماعليه .. ابقها لـــك .

ـ الله يخلي لك خطيبتك . أتحبها كثيرا ، ياأستاذ ؟

نظر اليه الاستاذ . لم يتكلم . ثم ربت ظهره ، وقال :

ـ مر بابو العبد . وطالبه بالفرنكين .

فانفك عنه وقد تذكر الفرنكين . سيطالب ابو العبد بالفرنكين ..

ـ مع السلامة ، استاذ . الله يديمك .

***

وفيما كان يغيب عنه الشاب في الزحام ، كان يتحسس الربع فـــي كفه . اصبحت له حلالا . كم هو طيب الاستاذ ! لو كان لكل شاب خطيبة يهديها شكلز ، لراجت بضاعته ايما رواج . ربع ليرة يربح بالوحدة ! كم هذا رائع ! اللهم زد في عدد الطيبين . الخاطبين .

واذ عاد الى المظلة ، كانت دمعتان تترجرجان في موقيه . الا انـــه تماسك قليلا . ثم مالبث ان رفع صوته مناديا بحرارة :

ـ شكلز ... مسكه شكلز .. الوحدة بربع .....

حلب — فاضل السباعي